فيما هو عليه من الطاعات ووقع له خاطر يقدح في اصل ذلك بما يخالف ظاهر الفضل واستقر فليعلم ان
الله تعالى لم يعطه ايمانا ولا نورا في قلبه وذلك من علامات الشقا نعوذ بالله من ذلك وهذا مما
ينبغي لكل مومن ان يزن بها احواله وهو اعرف بنفسه وما يخطر فيها ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
في الحديث الصحيح ان العبد ليعمل بعمل اهل الجنة فيما يبدو للناس اي والله تعالى يعلم منه هذا
الخاطر الذي يقدح في اصل الايمان من الشك القايم به فهو على خلاف ما يعطيه ظاهره من انه على
الشرع وان الرجل ليعمل بعمل اهل النار فيما يبدو للناس يعني من المخالفات والله تعالى
يعلم من باطنه خلاف ذلك من نور الايمان والصدق مع الله تعالى وان هذه الحالة التي هو عليها مخالفة
لامر الله تعالى فهو يبكي باطنا ويخالف امر الله بحكم الارادة ظاهرا فيبدو امنه ما لا يبدو للناس فعلم
ابان صلى الله عليه وسلم ما الناس عليه في انفسهم وما نقل عن الحسن البصري ومالك بن دينار واضرابهما
مما يخالف ما قررناه فانما ذلك اتهام لانفسهم او مرادهم بقولهم ما اعمالنا اعمال من لا يومن بيوم الحساب
حث غيرهم على الجد والاجتهاد او ذلك بالنظر الى مقامات اخرى هي اعلى من مقامهم وقد ذكر
الشيخ محيي الدين في الفتوحات انه اطلع من طريق كشفه على سعادته وقال رايت نفسي من جملة السعدا
الذين هم على يمين ادم عليه السلام فشكرت الله على ذلك والحمد لله رب العالمين ومما من الله تعالى به علي
عدم توجهي لطلب العطا الالهي على المنع فهما عندي في الحلاوة على حد سوا لعدم اختياري مع الله تعالى وعلمي بانه
تعالى اعلم بمصالحي من نفسي فحلاوة المنع عندي كحلاوة العطا على حد سوا وهذا خلق غريب في الاقران
قل من يتخلق به منهم وقد سمعت سيدي علي الخواص رحمه الله مرارا يقول احذروا ان تعاملوا الحق
فان فيه تحجيرا على الحق تعالى ان يعطيكم ذلك الامر الذي رجوتموه فارجوا فضل ربكم ولا تحجروا عليه فانه
لا ينفعكم فان الرجا كالتمني على حد سوا وقد قال تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقد
بلغنا ان الشيخ ابا الحسن الشاذلي رضي الله عنه لما فني اختياره مع الله تعالى مكث عشر سنين لا يستطيع ان
يسال الله تعالى حصول شي ثم نودي في سره على لسان العبودية لا ترجيح فيها للعطا على المنع قال
فسالت الله ورجوته امتثالا لامره لا تحجيرا عليه وانه يخلق ما يشا ويختار وليس للعبد معه
اختيار لقوله تعالى ما كان لهم الخيرة ثم لا يخفى انه ليس من الاختيار المذموم مع الله تعالى الاختيار
الذي هو لازم الفعل فانه لا يصح توجه القلب لفعل شي او تركه الا بعد وجود اختيار ذلك ولا انفسخت
عزايم العبيد ولم يصح منهم ارادة لفعل شي او تركه وسمعت سيدي علي الخواص رحمه الله يقول ليس من الادب ان
يقول العبد اريد ان لا اريد وانما الادب اريد ما اختاره الشرع لي فيتصف بالارادة لما اراده الشرع فما
لا يبقى له غرض في مراد معين وجميع مختارات الشرع وترتيباته ليس للعبد فيها اختيار وانما يكون الاختيار
في الامور التي وردت مجملة فليس للعبد ان يتخير والله تعالى في صلاة الضحى او صوم الاثنين والخميس مثلا لان
ذلك مودن بالشك وقد قال المحققون من استاذن قلبه ربه في فعل ما امر به الشرع فهو دليل على عدم
كمال ايمانه بما ورد انتهى وفي كلام الشيخ ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه لن يصل ولي الى حضرة الله تعالى
ومعه تدبير من تدبيراته او اختيار من اختياراته ومتى بقي معه اختيار وتدبير اخذ هو كالمنازع
لاوصاف الربوبية انتهى والحمد لله رب العالمين ومما من الله تعالى به علي رجاي محبة تعالى لي
لما تركت ما هو اقل من جناح بعوضة باخباره لنا بذلك على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله
ازهد في الدنيا يحبك الله الحديث وهذا من اعظم النعم على العبد كونه تعالى علق حصول محبته التي لا تقابل
بعوض من العالم على الزهد في اقل من جناح ناموسة ومن نظر الى الدنيا بهذه العين لم يشغف
نفسه على احد من خلق الله تعالى اذا زهد بل لا يرى انه زهد في شي يدركه العقل من حيث ان جميع الدنيا

التي

التي بيد جميع الخلق من الملوك الى السوقة على اختلاف طبقاتهم اقل من جناح بعوضة فاذا تخلى العبد منه
اذا وجد ذلك الاقل من الجناح المذكور على جميع اهل الدنيا فكان الزاهد زهد في لا شي هذا من حيث مقام الزهد
فيما يشغل عن الله عز وجل من حيث كون ذلك نعمة من الله تعالى عليه فيرى توفيقه للزهد من القليل من الفضل الجزيل
ثم يتعين ان الزاهد يشاهد ما يحصله من الدنيا ان يتركه فليس ما تركه برزق له وانما هو لمن اخذه وانتفع به
ومن هنا قالوا لم يزهد الزاهدون الا فيما لم يقسم لهم فان الزاهد حار لي نفسه على اخيه بالزهد في الدنيا
الا لكنه اراه في ذلك مع خلاوة انه كان قادرا ان يزاحم على الشي النلاني ويأكله او يلبسه مثلا كما فعل غيره وذلك
وهو منه اذ لو كان قسم له لم يصح لاحد اخذه ولا الانتفاع به فعلم ان الاكابر حين زهدوا انما لا يرون انهم تركوا
شيا قسم لهم من الدنيا وانما يرون ان الله تعالى زوى عنهم الدنيا اعتنا بهم حتى لا يشتغلوا عنه بشي لكانت
صوره ما لهم الظاهره وسيلة الى اشتغال المحجوبين بهم في التنقل في الدنيا لا غير والمشهد مختلف ففرق بين
من يزهد في الدنيا ليحصل له الثواب وبين من يزهد فيها ليجالس رب العالمين وسمعت سيدي علي الخواص رحمه الله
يقول سمعت سيدي ابراهيم المتبولي يقول من زهد في الدنيا ليوسع على اخوانه فيها فقد وقع في مزاحمتهم في الاخرة
من محبة هذه الدار التي نحن فيها انتهى يعني فلا يكمل عند العارفين الا ان زهد في الدنيا امتثالا لامر الله عز وجل
لا لعلة اخرى وان كانت الاخرة ليست بدار حجاب بحكم الاصالة فافهم ومعنى ازهد في الدنيا يحبك الله
اي لا تتعلق قلبك بشي من الكونين الا باذن الله تعالى لا انك تترك امساك الدنيا التي تستر بها نفسك
وعيالك فان ذلك يخالف ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والعلما العاملين ومن
هنا كان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول حقيقة الزهد في الدنيا هو الزهد في الميل اليها بالمحبة بغير
اذن من الله تعالى لا الزهد في امساكها ويصير العبد كلا على الناس فان ذلك خلاف الشريعة انتهى
فالحمد لله الذي جعلنا ممن لا يشغله عن ربه شي من الكونين والحمد لله رب العالمين ومما من الله تعالى به علي
بعد زهدي في الدنيا امساكي لها على وجه الادب مع الله تعالى للحكمة التي جعلها في امساكها لا محبة في ذاتها
كما انا على نحو ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم اجمعين واما قوله
تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة فالمراد والله اعلم منكم من يريد الدنيا للاخرة ومنكم من
يريد الاخرة لله تعالى فمن الصحابة الفاضل والافضل كما حرره كذلك الشاذلي وغيره فما طلب احد منهم الدنيا
محبة في ذاتها ولا حرصا على جمعها لغير غرض صحيح لقرينة قوله تعالى في حقهم رجال لا تلهيهم تجارة
ولا بيع عن ذكر الله وذلك لجمعهم بين الضدين والعدل بينهما على القانون الشرعي وسمعت اخي افضل
الدين رحمه الله يقول في قوله تعالى فيما نسخت تلاوته لو ان لابن ادم واديين من ذهب لابتغى لهما ثالثا
ولو انه اعطي ثالثا لابتغى رابعا ولا يملا عين ابن ادم الا التراب معنى ذلك والله اعلم لو كان لبني ادم
الذين نظروا الى ظاهر الدنيا دون باطنها واديان من ذهب لابتغوا ثالثا وهكذا بخلاف ابنا
الاخرة الذين خرقوا ببصرهم الى الدار الاخرة وعرفوا ما يقربهم من حضرة الله تعالى وما يبعدهم عنها
قال وكان من استثنا الانبيا والصحابة ومن تبعهم من الاوليا من هذا الحكم بالاجماع لزهدهم في الدنيا
انتهى ثم وجه الحكمة التي اشرنا اليها اولا في هذه المنة هو ان الله تعالى جعل الذهب والفضة والفلوس ثمنا
وقيمة للاشيا كلها دون غيرها من التراب مثلا فلو قلت لبايع الخبز اعطني بجله واعطيك هذا الكوم التراب
مثلا لا يجيبك الى ذلك بخلاف ما اذا اعطيته جديدا من النحاس فكان من الادب اهل الله تعالى ان يدوروا
مع مراد الحق تعالى في الوجود وكان اصل عزة الذهب والفضة عند الناس كما روي ان ادم
عليه السلام لما اكل من الشجرة بكى عليه كل شي الا الذهب والفضة ايثارا لجناب الله تعالى فقال الله عز وجل
لاجعلنكما عزيزين بين عبادي ولا جعل فيه شي بكما انتهى والحمد لله رب العالمين ومما انعم الله تعالى به علي

Copyright King Saud University